النشاط الزراعي في مصر القديمــة

د. وسناء حسون يونس
جامعة الموصل – كلية الآثار

تاريخ الاستلام ٢٠١٢/١٠/٢ تاريخ القبول ٢٠١٢/١٢/٥

الملخص

استطاع المصريون القدماء ان يتكيفوا مع البيئة التي عاشوا فيها عندما استقروا على جانبي نهر النيل ،ثم قاموا بزراعة الأرض، فكان الانقلاب الحضاري الأول حيث كانت الزراعة فتحا جديدا لحياتهم وحضارتهم ، وهكذا كان للنيل الفضل الاكبر ليس فقط في نشأة الحضارة المصرية بل في استمرارها وديمومتها، اذا كان ولا يزال شريان الحياة لمصر والمصريين.

كان التقويم الزراعي في مصر القديمة يتضمن ثلاثة فصول ترتبط بالنهر والموسم الزراعي: فصل الفيضان ، فصل الزرع او الإنبات، ثم فصل الحصاد. وكل فصل من هذه الفصول يحوي شهور أربعه اعطيت ارقاما في اول الامر ثم اطلقت عليها اسماء منذ العصر الفارسي (حوالي القرن السادس ق.م) وهي الأسماء المعروفة حاليا بأسماء شهور السنة القبطية التي لايزال فلاحوا مصر يعتمدون عليها وهي :

- "اخت" فصل الفيضان
- "برت" فصل الزرع والأنبات
- "شمو" فصل الحصاد

اما عن الخطوات التي اتبعها المصريون القدماء في الزراعة فهي لاتختلف كثيرا عما هو في الوقت الحاضر، حيث كانت عملية قياس الارض بعد انحسار مياه الفيضان لتقدير مدى انتفاع الأراضي من مياه الفيضان، وتأثير هذا على انتاج الأرض. ويبدأ عمل الفلاح بعد انحسار مياه الفيضان بحرث الأرض وتفتيت ما على سطحها من كتل الطمى الصغيرة بواسطة المحراث الذي تجره الحيوانات ، ثم تتم عملية البذر وكانت تحت رقابة شديدة ، ومن ثم تأتي مرحلة دفن الحبوب (انزال الحبوب في ثنايا الأرض). كما سعى الفلاح المصري في تنظيم قنوات النهر وشق الترع حتى غدت البلاد شبكة من القنوات الموجهة نحو الاراضي الصالحة للزراعة للافادة من ماء النهر في الري. وبعد نضج المحصول كانت تتم عملية القياس بواسطة حبل يحوي عددا من العقد لمعرفة المساحة المزروعة لضمان حصول اصحاب الاراضي على المحصول كاملا ، وعلى اساسه تعد ضريبة الحصاد . وكان موسم الحصاد موسما شاقا ترتفع فيه درجات الحرارة ويصعب العمل فيه والذي يحتاج الى سرعة في الحركة ومجهوداً عضلياً ومن ثم يتم جمع المحصول على هيئة حزم، وينقل الى (الجرن) فتبدأ عملية الدرس فيه واخيرا يتم خزن المحصول في الصوامع للاستفادة منه.

المقدمـة

تمتع المصريون القدماء بالاستقرار في المعيشة والسكن منذ ان اهتدوا الى حرفة الزراعة، وتعودهم على ادخار حبوب الزراعة ومحاصيلها والى التعاون في سبيل استصلاح الارض وزراعتها، كما انهم ادركوا ضرورة حماية الارض ومزروعاتها ومحاصيلها، فسعوا الى تكوين قرى صغيرة وتأمينها ضد الاخطار الطبيعية والحيوانات البرية.

لم تشهد اجزاء وادي النيل الحياة الزراعية دفعة واحدة بل شهدت مراحل بطيئة في التطور الزراعي، حيث بدأت العملية الزراعية بشكل واضح منذ عصر ما قبل الاسرات، اذ بدأ المصريون القدماء باقتلاع الاشجار ومهدوا الارض للزراعة، ويعد نهر النيل السبب الرئيس في وجود الحياة في مصر بشكل عام وللزراعة بشكل خاص، حيث ان المصريين القدماء بدأو بمتابعة فيضان النيل السنوي بشكل دقيق ثم قاموا بحرث الاراضي ورش البذور وتهيئتها للسقي من خلال الفيضان السنوي، لذا بدأت الزراعة في مصر وعلى ضفاف هذا النهر، وذلك لسهولة سقي المزارع وايصال الماء اليها من خلال شق الترع وبناء السدود وانشاء المجاري المائية، حيث ان قرب مصدر مياه السقي لم يكن ليتطلب الجهد الكبير في ايصال الماء الى اماكن بعيدة عن مصدره، فضلا عن ان الاراضي المحيطة بنهر النيل تعد اكثر خصوبة من الاراضي البعيدة عنه نتيجة للطمي التي يحملها نهر النيل في فيضانه السنوي.

التمهيـد:

كانت الزراعة تمثل المورد الخصب الذي اكسب مصر حضارتها ، وقد بدأت منذ عصور ما قبل التاريخ عندما مهدت الارض وعدت لزراعة انواع من الحبوب ، كما اكتسب الفلاح المصري القديم بمرور الزمن تقنية الشؤون الزراعية ومراقبة فيضان النيل والاستفادة منه الى اكبر قدر ممكن فتحولت البلاد الى حقل شاسع ومركز لحياة زاهرة في ارجاء مصر[١] .

الى ذلك يستدل من الادلة الاثرية العائدة الى بدايات العهد الحجري الحديث ان الفلاح المصري القديم كان يعتمد على الزراعة والصيد معا في مواقع مرمدة ودير تاسة (طاسة) ، البدارة ، ويبدو ان البداريين اضطروا الى تجفيف بعض المستنقعات وتحويلها الى اراضي زراعية حتى يسهل ريها بدلا من الاعتماد على الامطار فقط لانها لم تكن تكفي لإنبات الاراضي الزراعية، اما حضارة نقادة[٢] بمراحلها فامتازت بصناعة الادوات الزراعية[٣].وتلي هذه المراحل حضارة المعادي[٤] التي تعود الى اواخر العصر الحجري الحديث استبدلت فيها سلال الخوص المكسية بالطين بجرار من الفخار لاستعمالها في حفظ الغلال.

وبين مرحلة المعادي ونشأة الاسرة الاولى تشير النصوص الى الاهتمام الواضح بالشؤون الزراعية وكانت باشراف ومسؤولية الملك[٥].

نهر النيل وارتباطه بالزراعة :

كان لنهر النيل الاثر الكبير في حضارة مصر القديمة شكل (١) ، حيث كانت اهميته واضحة في خصوبة الاراضي الواقعة على ضفتيه فهو يحمل كل عام مع فيضانه كمية كبيرة من الطمى والغرين والتي تنتشر في اوديته فتكون ارض خصبة صالحة للزراعة[٦] اذ ان نهر النيل تتراوح مدة فيضانه من (٩٠-١٠٠ يوم) ، ففي شهر ايار تكون مناسيب مياه النهر في ادنى مستوى له ثم بعدها يبدأ الارتفاع بين اسوان والقاهرة وفي شهر حزيران يزداد الارتفاع ويكون لون الماء اخضرا بسبب الحشائش المائية ثم يبدأ بالارتفاع اكثر في شهر اب ويصبح لونه احمرا بسبب الطمى والغرين ويبدأ بالاستقرار قليلا بحلول شهر ايلول ويكون اخر ارتفاع له في شهر تشرين الاول وفي منتصف الشهر يبدأ بالانخفاض تدريجيا حتى شهر ايلول المقبل من السنة المقبلة حيث يكون ادنى مستوياته ثم تعاد دورة فيضان نهر النيل[٧].

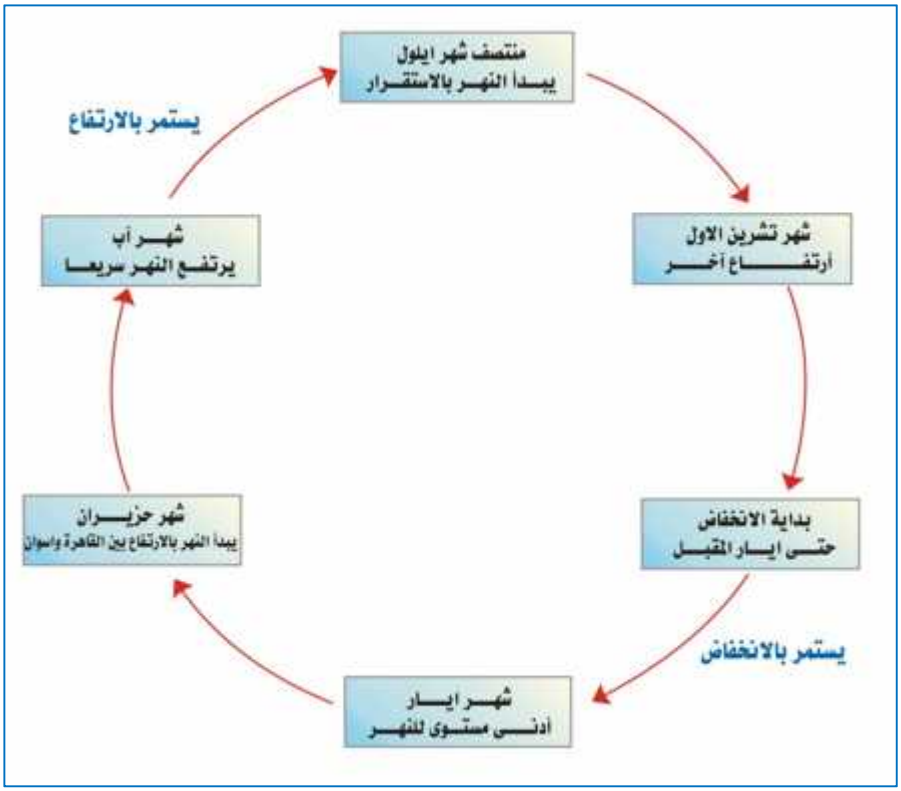

المخطط من اعداد الباحثة

وقد اطلق المصريون اسم حعبي (حابي) [٨] على النيل ، وقدسوه كمعبود لهم، وصور رمزه بهيئة بشرية متناظرة اذ نقش على جدران المعابد والمقابر، مرتان وهو يربط نبات اللوتس رمز مصر العليا بنبات البردي رمز مصر السفلى دلالة على الوحدة التي أوجدتها الطبيعة والرابطة التي جمعت الشمال والجنوب تحت حكم فرعون (شكل ٢)، وقد اطلق المصريون القدماء القابا كثيرة على اله النيل منها واهب الرزق العظيم ورب الاسماك وخالق الكائنات وواهب الحياة وغيرها وبحسب اعتقادهم[٩]. كما خصصوا لعبادته عيدين مهمين :

الاول (ليلة الدمعة او ليلة النقطة) ويقع في حزيران ، حيث اعتقدوا ان الالهة (ايزيس) ناحت وبكت على جثمان زوجها (اوزريس) الميت وسقطت دموعها في مياه النهر وسبب ارتفاع مياهه ، وقد استمر هذا العيد في مصر حتى العصور الحديثة[١٠].

والعيد الثاني عيد كسر السد او قطع السد يقع في منتصف شهر آب حيث يبنى سد من تراب نحو ٢٣ قدما في خليج القنال واذا ما بلغ مستوى نهر النيل اعلاه يزال القسم الاعلى من السد وقت شروق الشمس ثم ينحدر قارب من فوق السد المكسور[١١].

الافصل والشهور الزراعية عند المصريين القدماء :

قسم المصريون القدماء السنة الزراعية الى فصول عدة ، وهذه الفصول جاءت بحسب فيضان مياه نهر النيل ذلك لاعتماد الزراعة عليه بشكل رئيس ، ويدل مشهد وجد على احد جدران مقبرة مروكا بمنطقة صقارة على فصول السنة الزراعية والذي يعود الى عصر الاسرة السادسة ، وهي كالاتي :

- الفصل الاول : يمثل الفصل الاول فصل الفيضان الاول ، حيث تغمر مياه الفيضان الاراضي ويبدأ هذا الفصل من منتصف شهر حزيران حتى منتصف شهر ايلول ، وكان رمز الفصل الاول علامة (نفر) باللغة الهيروغليفية والتي تدل على الجمال(١٢).
- الفصل الثاني: هو فصل البذار والذي يتميز بظهور الارض بعد انحسار مياه الفيضان ويبدأ هذا الفصل من منتصف شهر ايلول حتى منتصف شهر شباط، وكان رمز هذا الشهر باللغة الهيروغليفية (حتب) بمعنى الخير والاستقرار (١٣).
- الفصل الثالث: هو فصل الحصاد يتميز هذا الفصل بحصاد المحاصيل التي زرعت ، ويبدأ هذا الفصل من منتصف شهر شباط حتى منتصف شهر حزيران ، وكان رمز هذا الفصل باللغة الهيروغليفية (عنخ) بمعنى الحياة(١٤).

كما قسم المصريون القدماء الاشهر بحسب المحاصيل المزروعة واوقات حصادها بالاشهر وانواع المحاصيل المزروعة وغيرها، حيث كان في بادئ الامر ان اعطيت هذه الاشهر ارقاما ثم بدلت باسماء دالة عليها ، كما ان هذه الاشهر هي اشهر السنة القبطية ولا تزال معروفة حتى هذا اليوم على الرغم من بعض التحريف في مسميات هذه الاشهر ، وكان تقسيم هذه الاشهر كالاتي :

- شهر توت : يبدأ شهر توت من يوم ١١ ايلول حتى ١١ تشرين الاول ، وهو شهر الالهة توت او تحوت، يزرع في هذا الشهر محصول البرسيم والشبت والكرنب.
- شهر بابه : يبدأ من يوم ١١ تشرين الاول حتى ٩ تشرين الثاني ، يزرع في هذا الشهر محاصيل الكتان والارز والبصل والثوم في مناطق الوجه القبلي كما تزرع محاصيل القمح والشعير والبسلة.
- شهر هاتور : يبدأ من يوم ١٠ تشرين الثاني حتى ٩ كانون الاول ، يحصد في هذا الشهر محاصيل القمح والقطن ، وينضج فيه محصول الارز النيلي، ويبدأ بظهور ثمر البرتقال ، كما يزرع في هذا الشهر محاصيل القرع والطماطم.

- شهر كيهك : يبدأ من يوم ١٠ كانون الاول حتى ٨ كانون الثاني، تقصر في هذا الشهر ساعات النهار ويطول فيه ساعات الليل، يزرع في هذا الشهر شجر المشمس والبرقوق ، ونبات الخس وبعض النباتات الخضرية الاخرى.
- شهر طوبة : يبدأ من يوم ٩ كانون الثاني حتى ٧ شباط ، يكون في هذا الشهر تقليم ونقل الاشجار والفسائل فضلا عن زراعة نبات الذرة الصيفية.
- شهر أمشير: يبدأ من يوم ٨ شباط حتى ٩ اذار ، يزرع في هذا الشهر نبات القطن في مناطق الوجه القبلي ونبات الذرة العويجة ونبات قصب السكر ، كما يلقح شجر النخيل ، ويبدأ مع هذا الشهر غرس شجر التين والتفاح.
- شهر برمهات : يبدأ من يوم ١٠ اذار حتى ٨ نيسان ، تنضج في هذا الشهر بعض المحاصيل كنبات البازلاء ، وتبدأ عملية حصد نبات الكتان ايضا.
- شهر برمودة : يبدأ من يوم ٩ نيسان حتى ٨ ايار ، يبدأ في هذا الشهر حصاد محاصيل الباقلاء والعدس والترمس والقمح في بعض مناطق الوجه القبلي ، ويزرع فيه ايضا نبات الفول السوداني.
- شهر بشنس : يبدأ من يوم ٩ ايار حتى ٧ حزيران ، يحصد في هذا الشهر بعض الفواكه كالمشمس والتفاح ، كما يحصد فيه نبات البصل في مناطق الوجه البحري ، كما يزرع في هذا الشهر محصول السمسم والقلقاس.
- شهر بؤونة : يبدأ من يوم ٨ حزيران حتى ٧ تموز،يبدأ في هذا الشهر حصاد محصول القمح ونقله الى اماكن التخزين، كما يزرع في هذا الشهر محصول الارز والذرة.
- شهر أبيب : يبدأ من يوم ٨ تموز حتى ٨ آب ، يبدأ مع هذا الشهر بداية فيضان نهر النيل ، فضلا عن زراعة عدد من محاصيل الخضراوات كالجرجير والكرفس والسلق والبقدونس والباذنجان الاسود وغيرها من الخضراوات .
- شهر مسري : يبدأ من يوم ٦ آب حتى ٥ أيلول ،يزرع في هذا الشهر محاصيل الخضراوات كالطماطم والبصل والثوم واللفت ، كما ينضج في هذا الشهر البلح والزيتون الاخضر[١٥].

خطوات الزراعة عند المصريين القدماء :

اتبع المصريون القدماء خطوات معينة لتنظيم عملية الزراعة والري وحصد المحاصيل، حتى ان جزءاً من هذه الخطوات كان له ارتباط بعملية جمع وتحديد الضرائب التي كانت تفرضها السلطة انذاك على الفلاحين واصحاب الاراضي الزراعية، وكان الفلاح يقيس كمية الارض التي تشبعت بمياه الفيضان والارض التي تصلح للزراعة في تلك السنة ، ثم تبدأ بعد ذلك العملية الزراعية ، وهذه الخطوات هي كالاتي :

قياس الارض :

كان يتم تحديد مساحة الارض الزراعية التي تشبعت بمياه الفيضان، والتي تؤثر ايجاباً على الكمية الانتاجية لتلك الارض[١٦]، وكان يتم قياس الارض باستخدام نظام العقد ، حيث يعقد حبل مصنوع من الالياف الى عدد من العقد بمسافات متساوية على طول الحبل ثم يمد هذا الحبل على الارض وتحسب عدد العقد المغطية لمساحة الارض[١٧]. ويبين الشكل (٣) عملية مسح وقياس الارض مقبرة مينا – طيبة ، التي تعود الى عهد الدولة الحديثة وتحديدا الاسرة الثامنة عشرة (١٥٦٩ – ١٣١٥ ق.م) [١٨].

حرث الارض :

كانت تبدأ عملية الحرث عند المصريين القدماء فور انتهاء الفيضان وقياس الارض ، حيث يقوم الفلاح بعملية الحراثة مستخدما المحراث الخشبي الذي تجره الثيران (شكل ٤) ، وهي عبارة عن سكين خشبية او اثنين مثبتة الى مقبضان من الخشب تسحب على الارض فتقلب التراب[١٩](شكل ٥)، ويتم مع عملية الحرث عملية تنظيف الارض من الرواسب الصخرية التي جلباها الفيضان[٢٠]، وكان الفلاح المصري القديم يستخدم الفأس الخشبية والبلطة الحجرية لتفتيت الكتل الصخرية ولعزق وتنظيف الارض من الشوائب وكان الفأس عبارة عن قطعة خشبية عريضة مشدودة الى مقبض من الخشب[٢١].

بذار الحبوب :

بعد ان ينتهي الفلاح من عملية الحرث وتعديل الارض وتحضيرها، تبدأ عملية البذار وهي عبارة عن رش حبوب المحاصيل المزروعة باستخدام سلال لحمل البذور كانت مصنوعة من القش او من سعف النخيل الشكل (٦)، وكانت تتم عملية البذار تحت اشراف كاتب الذي كان يراقب عملية البذار ويكتب تفاصيل الكميات وعدد المرات التي ملئت فيها السلال ، وبعد انتهاء عملية رش البذور تبدأ عملية غمر الحبوب حيث كان الفلاح المصري القديم يجلب عدد من الماشية لتدوس على البذور لغمرها في التراب الرطب ، حيث تساعد هذه العملية على انجاح انبات البذور ، وكانت تستخدم الاغنام والخنازير في هذه العملية[٢٢] شكل (٧).

الـري :

كان على الفلاح المصري القديم الاهتمام بسقي الحقول المزروعة بالمحاصيل وابقاءها رطبة حتى تنضج تلك المحاصيل ، ولهذا السبب كان على الفلاح المصري القديم نقل المياه من نهر النيل مباشرة او من احد فروعه وايصالها الى الحقل للسقي ، كانت طريقة الري التقليدية القديمة التي كان يجري العمل بها خلال الدولة الوسطى (١٩٩١ الى ١٦٦٥ ق.م) هي استخدم جرار فخارية شكل (٨)، مستديرة الشكل يعلق كل اثنين في طرفي عصى مركبة وتفرغ محتوياتهما في احد الاحواض، وبهذا يتم ارواء الحدائق[٢٣]. وكانت تلك العملية شاقة

ومجهدة كما كان على الفلاح شق ترع وقنوات لنقل المياه الى الحقل ، ثم كان عليه ان يحافظ على نظافة تلك القنوات من الطمي والصخور التي كانت تسد القنوات التي تنقل المياه ، وكان ذلك يتم باستخدام الالات خشبية بسيطة ، منها الشادوف[٢٤] شكل (٩) ، ثم تطور نظام السقي في مصر القديم فظهرت الساقية في العصر الروماني[٢٥]، وهي اداة تستخدم في سحب المياه الجوفية ، حيث تعمل الالة بمرحلتين المرحلة الاولى سحب المياه من عمق داخل الارض ، ثم تصب المياه في مجرى موصول الى حوض كبير لتجميع والمياه وسحبها مجددا الى القنوات المائية، وكانت تستخدم الثيران كقوة في سحب المياه ورفعها[٢٦].

قياس المحاصيل قبل الحصاد :

كان المحصول وبعد نضوجه وبلوغه المرحلة النهائية من النمو يقاس لمعرفة كميته، وكذلك لتأكيد التقديرات والظروف المؤثرة على الانتاج ، حيث كان الهدف من هذه العملية ضمان حصول اصحاب المحاصيل على المحصول كاملا، وكان المالك يشرف بنفسه على هذه العملية في بعض الاحيان، وكان هناك عدد من الكتاب والمساحين المختصين بحساب الارض وموظفين اخرين وبعض من عناصر الشرطة، وكانت تتم عملية القياس بطريقة العقد ايضا[٢٧].

حصاد المحصول وتذريته :

بعد ان تنضج المحاصيل المزروعة كان على الفلاح المصري القديم ان يبدأ بحصاد تلك المحاصيل ، وكان الفلاح المصري القديم من يقوم بعملية الحصاد والتي كانت تتم بوساطة الآت خشبية وكان لكل محصول طريقة خاصة في حصاده، فنباتات الحبوب كالقمح والشعير كانت تحصد باستخدام المنجل الخشبي ، حيث يمسك الفلاح باحدى يديه مجموعة من النباتات ثم يقوم بجزها بالمنجل باليد الاخرى[٢٨] شكل (١٠) ، ثم يجمع المحصول بشكل حزم وينقل الى مكان يدعى الجرن شكل (١١)، الذي كان يقع بالقرب من القرى عادة ، وهو عبارة عن مساحة معبدة من الارض بشكل دائري ومحاطة بجدران ومغطاة بسيقان النباتات[٢٩]، تاخذ المحاصيل الى ذلك المكان ثم يقوم الفلاحون بادخال ماشيتهم لكي تدوس على المحصول بحوافرها حتى تنفصل الحبوب عن السيقان ، ثم تبدأ بعد ذلك عملية التذرية كما يبين الشكل (١٢) من مقبرة مينا في طيبة الاسرة الثامنة عشرة (١٥٦٩-١٣١٥ ق.م) باستخدام آلة خشبية تدعى المذراة[٣٠]،شكل (١٣)، لتنقية الحبوب من بقية الشوائب العالقة[٣١].

تخزين المحاصيل

تجمع محاصيل الحبوب بشكل اكوام ، بعد انتهاء تذريتها وتنقيتها من الشوائب وترسل جزءاً من هذه المحاصيل الى صاحب الارض لمعرفة مدى جودتها، فضلا عن ارسال كمية

من تلك المحاصيل الى المعبد والتي كانت تذهب بدورها الى آلهة الزراعة عند المصريين القدماء، حيث كان لدى المصريين القدماء عدد من الالهة ، كألاله الخاصة بالزراعة والحصاد كالالهة اوزيريس اله الخير والخصب النماء، والاله نبر اله الحبوب ، سخمت ألهة الحقول والاحراش، والاله مين اله الزراعة، والاله دينوتيت الهة الحصاد والخصوبة والهة الصوامع[٣٢]، وكان ياتي اثنان من الكتبة احدهما يكيل اكوام القمح قبل وضعها في الصوامع ، والاخر يسجل ما تم كيله وادخاله الى تلك الصوامع شكل (١٤)، ثم يبدأ بقياس المحصول وتعبئته في اكياس ثم ينقل الى مكان التخزين (الصوامع)[٣٣]، وتملئ هذه الصوامع بالحبوب ثم تغلق لحين سحب الخزين منها[٣٤]. ويبين الشكل (١٥) خزين القمح في الصوامع في مقبرة مينا في طيبة في عهد الدولة الحديثة في الاسرة الثامنة عشرة (١٥٦٩-١٣١٥ ق.م).

ومن الجدير بالذكر انه ورد في القران الكريم بهذا الشأن ذكر مصر وقصة سيدنا يوسف عليه السلام مع ملكها، فقد ورد في بداية سورة يوسف رؤيا ملك مصر وما حصل مع نبي الله يوسف عليه السلام في قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ((وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ)) صدق الله العظيم [٤٢-٤٣].

فكان تفسير سيدنا يوسف للرؤيا بسم الله الرحمن الرحيم ((قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ)) صدق الله العظيم [٤٦-٤٩].

قال له ملك مصر ((إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ)) [٥٣-٥٤] أي انك عندنا قد بقيت ذا مكانة وامانة، فقال يوسف عليه السلام : ((قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)) [٥٤-٥٥] صدق الله العظيم. ومن تفسير سيدنا يوسف عليه السلام لرؤيا الملك المتعلقة بسنوات الجدب السبعة ومن القران في قوله ((قَالَ تَزْرَعُونَ .....)) [٤٦-٤٧] نفهم ان مجتمع مصر القديم كان مجتمعا زراعيا وان السنوات السبع العجاف كانت ستلحق الضرر الكبير بالمحاصيل والغلال، وطلب سيدنا يوسف عليه السلام ان يصبح مسؤول خزائن محاصيل ارض مصر، وادارة شؤونها وطريقة خزن الحبوب كانت تتم عن خبرة ادارية، وفيما يتعلق باحصاء وتصريف المنتوج الزراعي كذلك لاجل اعالة الناس وارزاقهم خلال تلك السنوات، مما يؤشر معرفة سيدنا يوسف عليه السلام وإلمامه بالامور الادارية والزراعية بعامة.

وقد اشار القران الكريم بطريقة الخزن على لسان سيدنا يوسف عليه السلام ((قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ)) [٤٦-٤٧].

وتسمى طريقة خزن حبوب القمح في سنبلها العديلة والعديلة هي حزم من نباتات القمح المحتوي على عدد من السنابل ، توضع هذه الحزم في الشمس حتى تجف، وعند التخزين تبقى حبوب القمح جافة في سنابلها دون ان تفصل عن قشورها[٣٥].

الفلاح المصري القديم :

كانت هناك عدة كلمات في اللغة المصرية القديمة الدالة على كلمة فلاح منها ihwty hꜥwty –Shty ثم 'wj[٣٦] ، كان الفلاح المصري قديما ينتقل من مالك الى اخر كانه جزء من الارض واذا قصر فجزاءه الجلد، واذا اصبح العمل في الحقل مستحيلاً بسبب الفيضان يقوم بعمل اخر في خدمة فرعون او حاكم الولاية فينقل الاحجار التي يقطعها العمال من المحاجر الى المقابر والمعابد[٣٧]، كان الفلاح يعمل في الحقل مقابل اجور تدفع له بعد ان يتسلم رئيس العمل الانتاج، وتصرف هذه الاجور على فترات متقاربة اسبوعيا، وكان يخصص له ايضا ما يعادل حصاد يوم كامل من الحبوب في نهاية موسم الحصاد[٣٨]، الى جانب هؤلاء كان هناك فلاحون احرار يعملون في اراضيهم الخاصة بهم، لكن عدد هؤلاء كان قليلا ومساحات الاراضي التي يملكونها صغيرة بالمقارنة مع المساحات المملوكة من قبل الفرعون او المعبد[٣٩].

اهم الاشجار والمحاصيل في مصر القديمة :

الاشجار الكبيرة :

- **السنط :** عثر على اجزاء منه في عصور ما قبل التاريخ وبخاصة في البدارة وفي العصر التاريخي من عهد الاسرة الثالثة (٢٦٨٧-٢٦٤٩ ق.م)، والاسرة الخامسة (٢٥١٣-٢٣٧٤ ق.م)، ثم الاسرة السادسة (٢٣٧٤-٢١٩١ ق.م) ، استعملت اخشابه في بناء السفن الحربية ، اما ثماره المعروفة (بالقرض) تستخدم في الطب وبعض الصناعات الاخرى كالدباغة[٤٠].
- **النخيل :** عثر على بقايا جذوع النخيل في مصر منذ العصر الحجري القديم[٤١]. فمن نخيل الدوم استعمل الخوص في صنع السلال ومن ليفها صنع الحبال والشباك والحصير والاطباق والاقفاص، وكانت جذوع النخيل تستعمل في اول الامر كدعامات لاسقف الصالات والابهاء، وكانت تربط الى بعضها وتشد بالحبال[٤٢].
- **الجميز :** عثر على خشبها منذ عصر ما قبل التاريخ في مقابر نقادة ، وعلى ثمارها في عصر الاسرة الاولى (٣٠٥٠-٣٨٥٠) ، استعمل خشب شجر الجميز في صنع تماثيل الالهة والاثاث والتوابيت ، كما تذكر نصوص من عصر الدولة الثامنة عشر (١٥٦٩-١٣١٥ق.م) انه استخدم ايضا في صناعة السفن[٤٣].

- **البرساء (اللبخ عند العرب)** : عثر على فروع منها في عصر الدولة الوسطى (١٩٩١-١٦٦٥ ق.م) ووجدت ثمارها في مقبرة توت عنخ آمون (١٣٥٥-١٣٤٦ ق.م) من الاسرة الثامنة عشرة (١٥٦٩-١٣١٥ ق.م)، صنع من خشبها الاثاث والتماثيل وفاكهتها تؤكل، واستخدمت اوراقها في صناعة الاكاليل الجنائزية ، والجدير بالذكر ان هذه الشجرة انقرضت من مصر في القرن السابع الهجري[٤٤].
- **النبق** : عرف منذ فجر التاريخ واستمر استخدامه في عصر الاسرة الثامنة عشرة (١٥٦٩-١٣١٥ ق.م)، حيث كان خشبه يقطع الى الواح صغيرة استخدم في النجارة ، وكانت ثماره تؤكل[٤٥].
- **الاثل** : عثر على قطع متحجرة منه في العصر الحجري القديم، كذلك عثر على اخشابها في العصر الحجري الحديث وفي البدارة في عصر ما قبل الاسرات، وقد جاء ذكرها منذ عصر الاهرام، كان يصنع من اخشابها ادوات الفلاحة[٤٦].
- **الصفصاف** : يرجع تاريخ وجودها في مصر الى عصر ما قبل الاسرات ، اذ عثر على يد سكين من خشبها، وكذلك عثر على صندوق من الاسرة الثالثة (٢٦٨٧-٢٦٤٩ ق.م)، كما استخدمت اوراق شجرة الصفصاف في صناعة مواد طبية، وعمل منها الاكاليل[٤٧].

الحبوب :

- **القمح** : عرفه المصريون منذ اقدم العصور وكانوا يحتفلون بعيده وتقدم حبوبه للمعبود (نبر) أله الحبوب ، وزرع في مصر طوال عصورها التاريخية ، وقد كشف على نوع منه من عصر نقادة، وتسميه النقوش في الدولة القديمة (٢٦٨٧-٢١٦٥ ق.م) (بدت) وقد استعمل في عمل الخبز والجعة[٤٨].
- **الشعير** : عرف منذ عصور ماقبل الاسرات ، وكذلك عثر على نوع من الشعير اطلق عليه في النقوش اسم (آت) ويعزى استعماله في الاساطير الى الاله اوزريس الذي يقال انه وجد الشعير ناميا بين النباتات البرية بطريق الصدفة فدرس طبائعه ثم صنعت له اخته وزوجته ايزيس منه الخبز لذلك تعتبر سنابل الشعير والقمح من الاشياء المقدسة ، وقد وجد الشعير في المقابر القديمة مع الحنطة واستعمل في صناعة الخبز والجعة[٤٩].
- **البقول** : عرف المصريون البقول ، الفول ، العدس ، الحمص ، الترمس واللوبياء . وكان العدس من اهم طعام بناة الاهرام وكان المصريون يأكلون الفول واستعملوه كذلك طعاما لماشيتهم مع البرسيم[٥٠].
- **البذور الزيتية** : عرفت بذور الكتان والخروع واكاليل وثمار الزيتون الذي استفادوا منه في طعامهم وفي الاضاءة وفي صناعة الالوان والعطور والتطبيب[٥١].

- **نباتات اخرى** : اشتهرت مصر في زراعة الشمام (الرقي) والقرع ، وكان البطيخ يزرع في مصر العليا والواحات. وقد مثلت القثاء من بين ما مثل من الاطعمة على موائد القرابين، وقد ميز المصريون القدماء الخشخاش بنوعين واستخدم في الوصفات الطبية ، اما الفاكهة فكان هناك الكروم (العنب) والرمان[٥٢].

الاليـاف :

- **الكتان:** كانت زراعة الكتان بعد تراجع مياه الفيضان ، وعند الحصاد تنزع السيقان الطويلة من الارض ثم تجمع في حزم تترك في الشمس حتى تجف. وبعد الدق والتمشيط يتم عمل النسيج، وهو النبات الوحيد الذي استعملت اليافه في صناعة نسيج الكتان، وكان منتشر في مصر منذ اقدم العصور[٥٣].
- **القطن** : اختلفت الآراء حول زراعة القطن في مصر القديمة . حيث عثر على بعض اكفان بعد ان فحصت تبين انها مصنوعة من القطن، بيد انه لم يعثر على وثائق حتى عصر الرومان تدل على صناعة او زراعة فيها[٥٤].
- **نبات البردي** : المدلول اللفظي في اللغة المصرية القديمة w3d,twfy,dt[٥٥]، والكلمتان الاخيرتان تعني مستنقع او احراش البردي. يكثر في مستنقعات الدلتا في العصور القديمة وظل مستخدما في مصر منذ حوالي (٣٠٠٠ ق.م حتى القرن ١٠ م). يتراوح طول ساق نبات البردي من (٢م الى ٣م عدا الزهرة) وساقه مثلثة الشكل قطرها يبلغ (٤ سم) وهو مكون من غلاف خارجي صلب بداخله نسيج رخو ابيض يتغير الى اللون الاصفر بمرور الزمن. كان المصريون يقتلعونه من المستنقعات حتى يحتفظوا بطول الساق وكانوا يقطعون الجزء الاعلى منه في امور عديدة اهمها صناعة ورق البردي، اما اسفل الساق الغليظ فكان يقطع الى قطع متساوية الطول يستخدم في صنع الزوارق الخفيفة، اما السيقان الرفيعة جدا تقطع الى نصفين لحزم وربط حزم النباتات.
- **الخضر :**

من انواع الخضر : الخس ، البصل ، كما عرفوا الكرفس والفجل والكراث والثوم وغيرها، وكان المصري منذ اقدم العهود يستعمل الخضر في طعامه لفائدتها من جهة واقتصادا من أكل اللحوم من جهة اخرى ، كما كان يقدم الكثير منه على موائد القرابين، وكذلك استخدم بعضها لاغراض طبية، وكان المصريون يعلقون حزم البصل حول اعناقهم تبركا بها في بعض الاعياد وقد عرفوا كذلك اللفت والملوخية منذ العصر الروماني[٥٦].

- التوابل :

كان المصريون القدماء يستعملون التوابل واهمها : الكزبرة وقد وجدت ضمن مخلفات الملك توت عنخ امون (١٣٥٥-١٣٤٦ ق.م) كما وجدت ايضا في قوائم القربان منذ عهد الاسرة الخامسة باسم (الكروية) وعرف المصريون ايضا الينسون والكمون الذين كان يستخرج منه الزيوت[٥٧].

- البستنـة :

منها الحدائق ذات البركة (بحيرة) المستطيلة والمربعة ، والحدائق على القنوات او شاطئ النهر والحدائق ذات البرك (البحيرات) المتعددة والحدائق الصغيرة التي تزرع امام المنازل فضلا عن مناظر الحدائق الموسومة على ارضيات القصور والمنازل ، ثم ما يدعى بحدائق العالم الاخر والتي يطلق عليها حدائق الجبانات ثم حدائق القصور وحدائق المعبد[٥٨]. ولم يكن حب المصريين القدماء بان تحيط بيته حديقة يزرعها بالاشجار باقل من حبهم للزهور والورود، فكانت زهور اللوتس ذات اهمية كبيرة حيث كانت المرأة المصرية تتجمل دائما بوضع زهرة او زهرتين منها فوق جبينها ، وكانت ايضا تزين مائدة القرابين كما كانت التوابيت تحاط بأكاليل الزهور واوراقها، ولم تكن الاحتفالات الدينية تخلو من الزهور والورود التي تعتبر جزء من الطقوس المفترض القيام بها، ومن اهم هذه الزهور : اللوتس ، العنبر ، الاقحوان والنرجس والزنبق الابيض[٥٩].

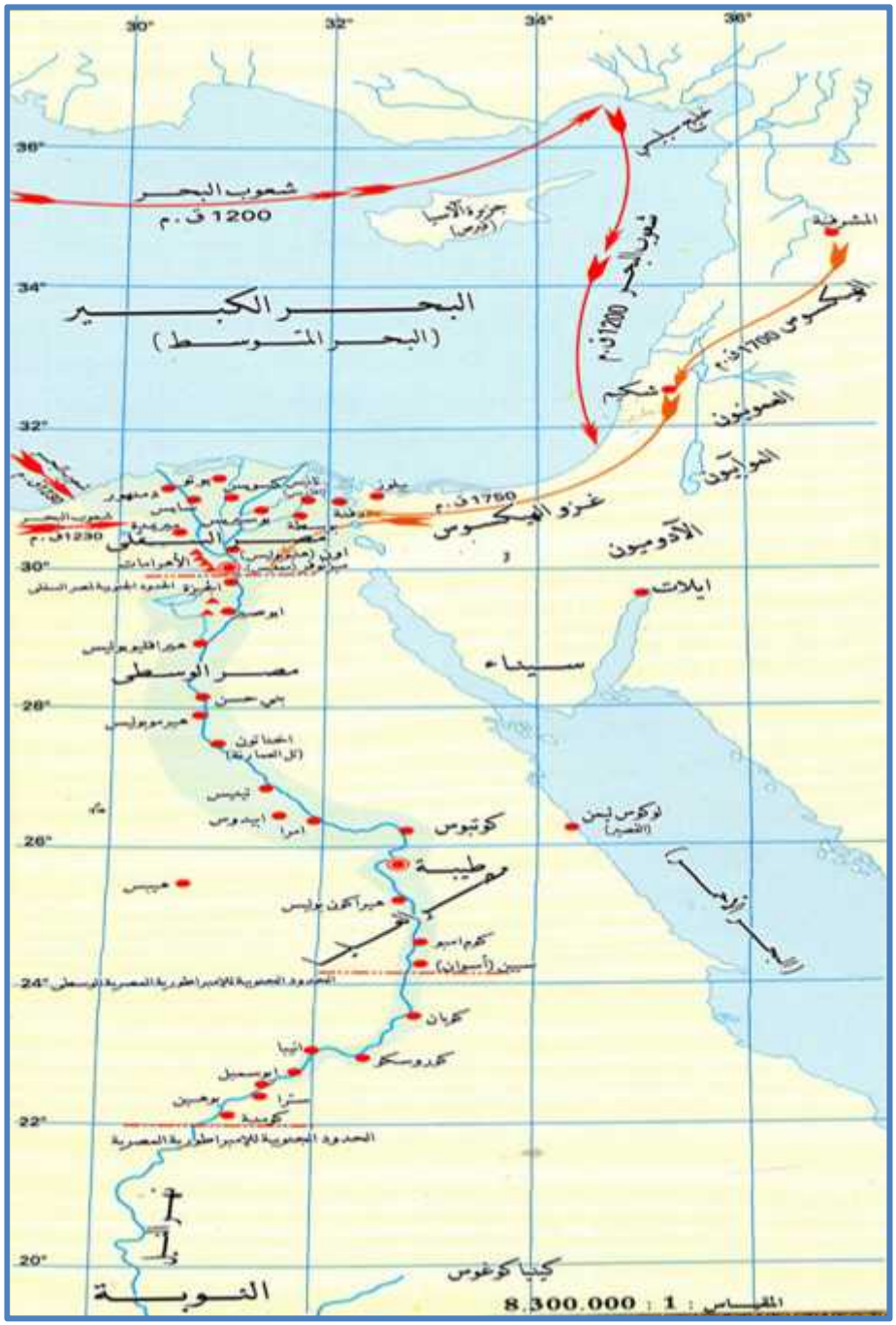

الشكل (١) : خارطة مصر القديمة

الكاتب ، سيف الدين ، اطلس التاريخ القديم ، سوريا ، ٢٠٠٧ م ، ص٧٧.

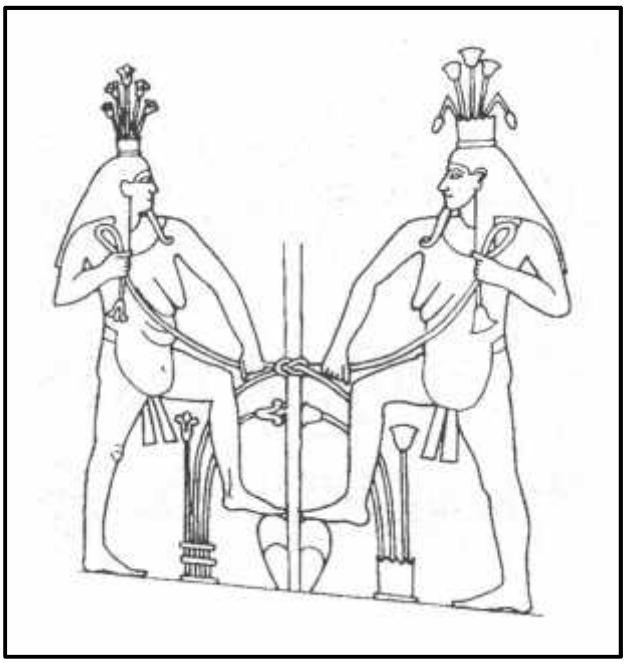

الشكل (٢) : الاله حعبي اله نهر النيل
Hart, Opcit, p.61

الشكل (٣) : Dollinger , The Grain , p.35

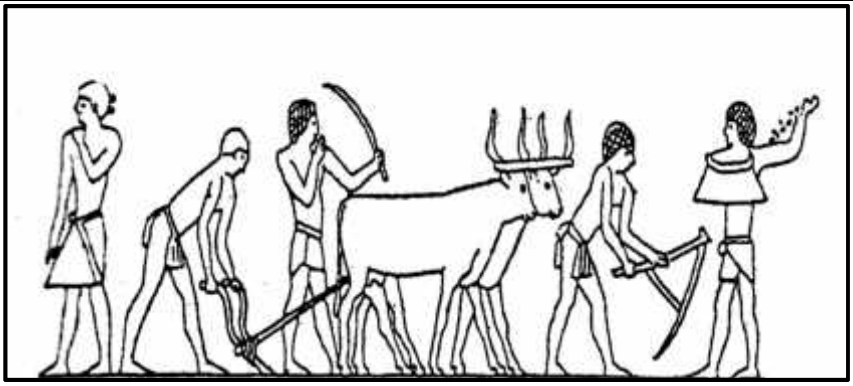

الشكل (٤) : A. Harry and JR,. Opcit, p.43

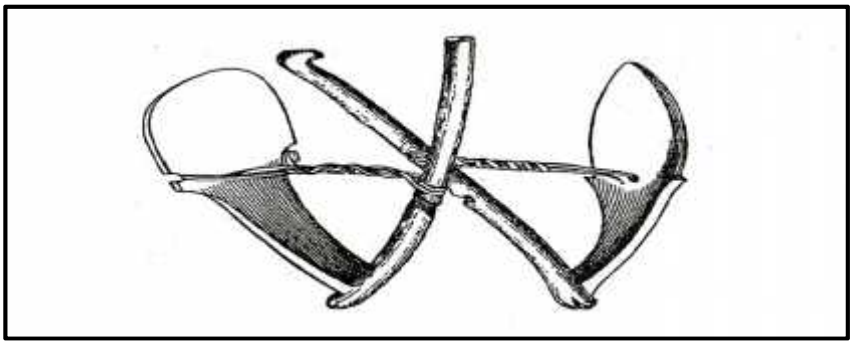

الشكل (٥) : A. Harry and JR,. Opcit, p.44

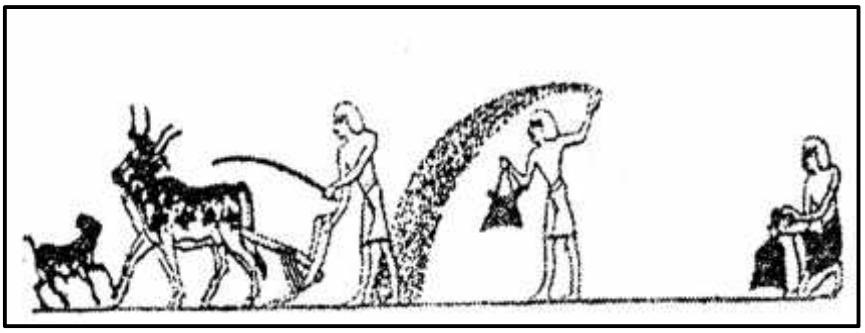

الشكل (٦) : عبد العال ، المصدر السابق ، ص٤٩

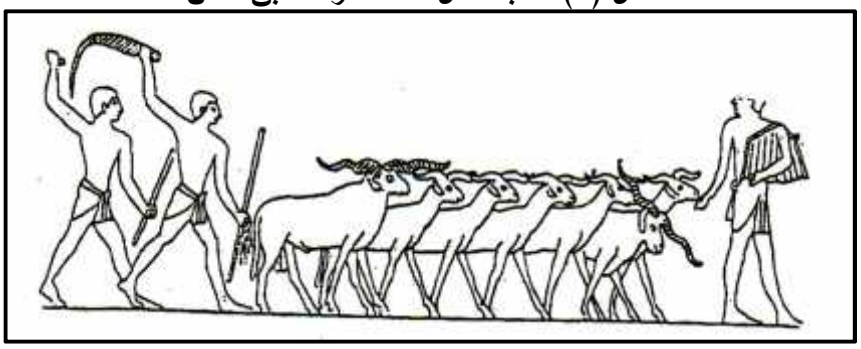

الشكل (٧) : A. Harry and JR,. Opcit, p.41

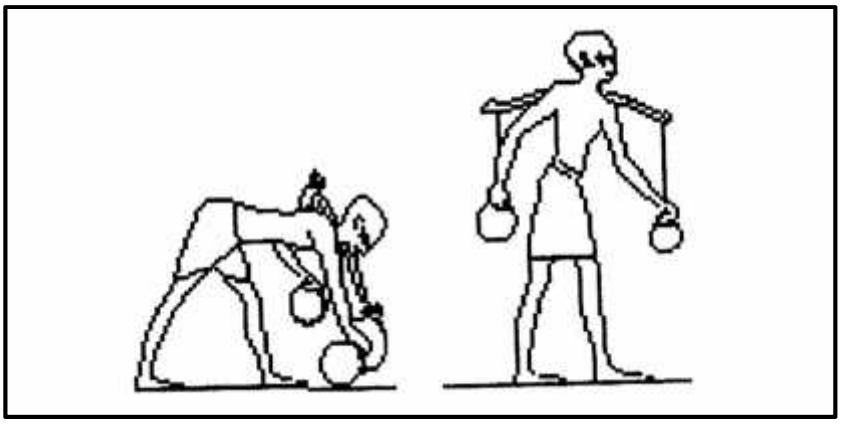

الشكل (٨) : Edwards , A.B. Horticulture, Opcit, p.187

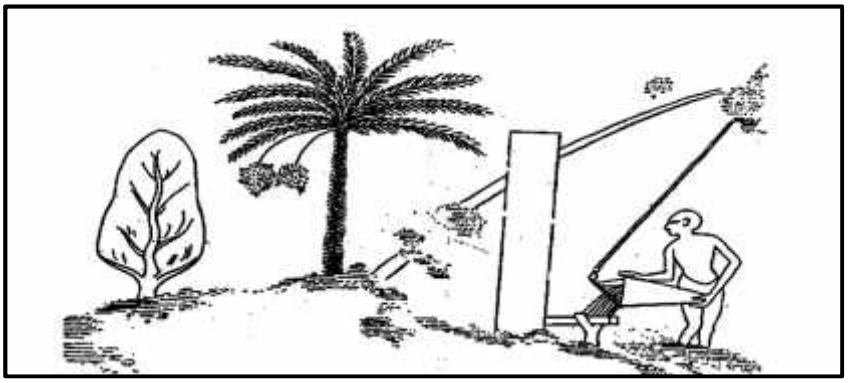

الشكل (٩) : A. Harry and JR,. Opcit, p.23

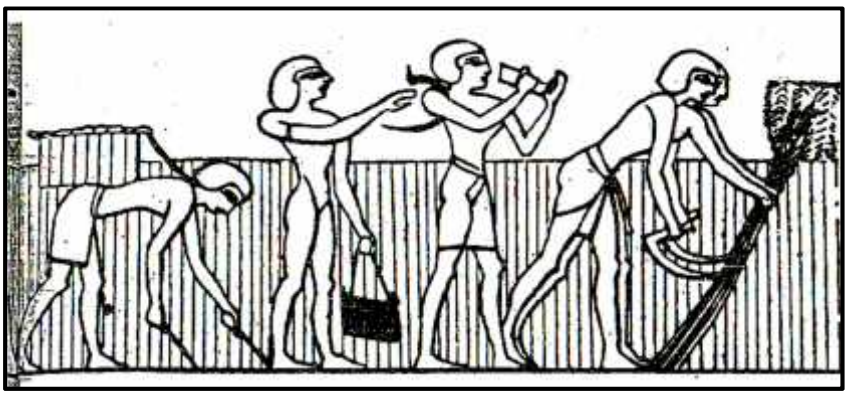

الشكل (١٠) : A. Harry and JR,. Opcit, p.23

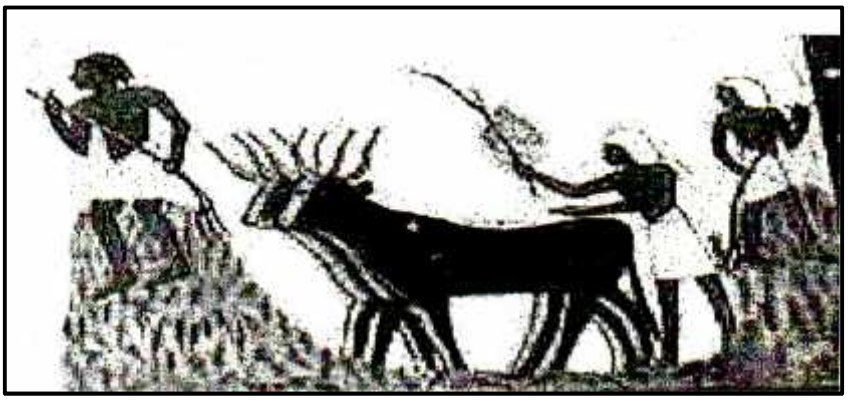

الشكل (١١) : Dollinger , The Grain , p.34

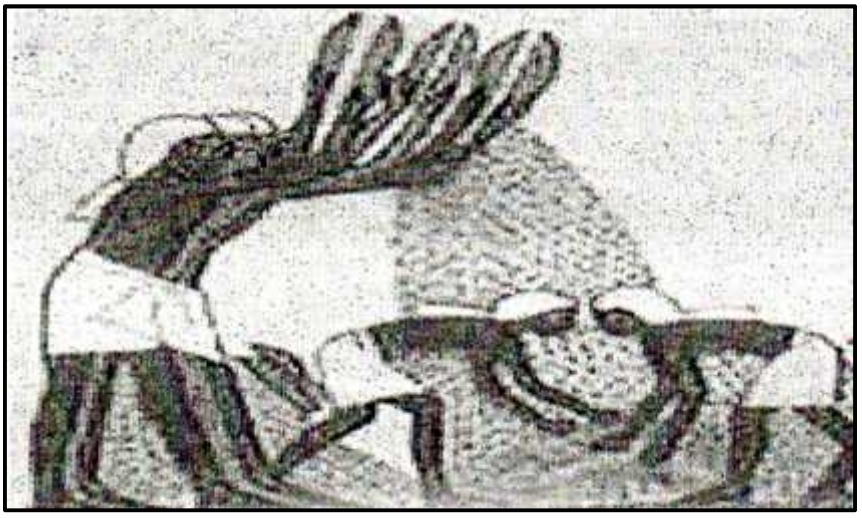

الشكل (١٢) : Dollinger , The Grain , p.34

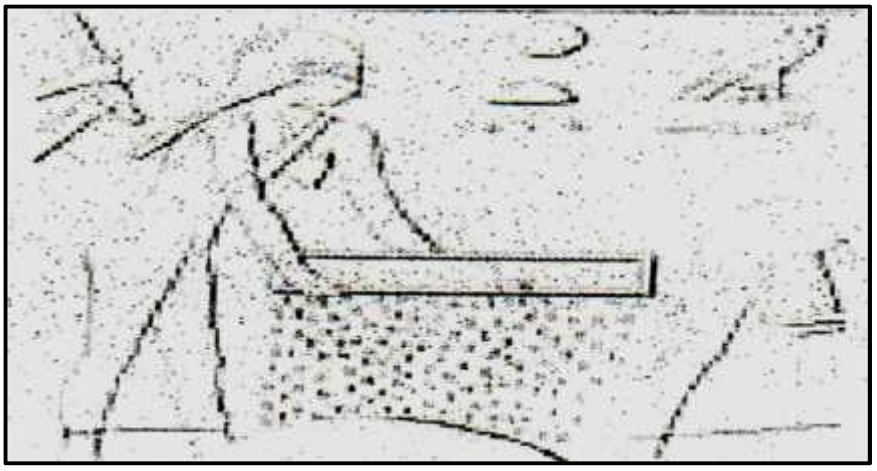

الشكل (١٣) : Dollinger , The Grain , p.34

الشكل (١٤) : عبد العال ، المصدر السابق ، ص٥٠

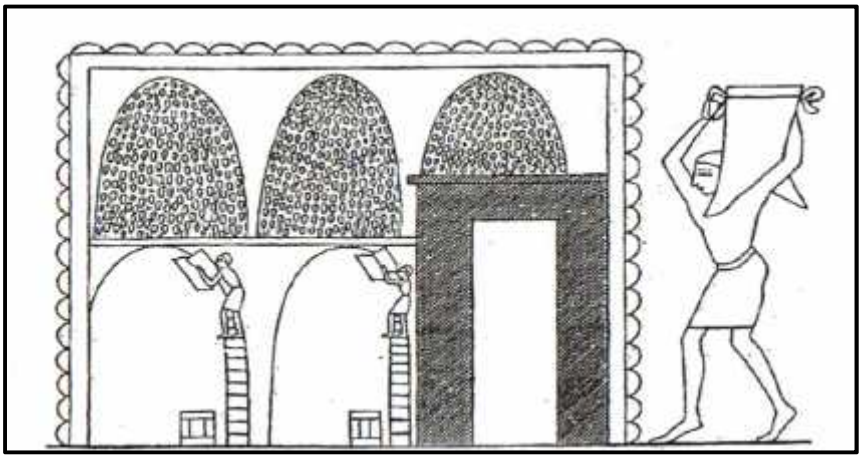

الشكل (١٥) : A. Harry and JR,. Opcit, p.36

الهوامش

(١) الخطيب ، محمد ، حضارة مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص١٦٢.

(٢) مرمدة : تقع على نحو ٥١ كم شمال غرب القاهرة ، وهي قرية شيد اهلها اكواخهم من الطين ، عرف اهلها الزراعة وخزن الحبوب وتدجين الحيوانات وصناعة الفخار الذي كان اسود خشن منذ العصر الحجري الحديث كما عرفوا غزل الكتان. اما مواقع دير تاسة (طاسة) ٤٢٠٠ ق.م التي تقع على الجانب الشرقي للنيل على مقربة من البدارئ بمحافظة اسيوط تميز فخارها باللون الاحمر ، واهتم نساءها بادوات الزينة والحلي خلال العصر الحجري الحديث (٤٥٠٠-٣١٠٠ ق.م).

بينما عرف سكان موقع البدارة : تقع بمحافظة اسيوط ، استخدام النحاس واستخدموا في حليهم الفيروز وعرفوا الملابس الكتانية والجلدية والاتقان في صناعة الفخار خلال العصر الحجري الحديث.

اما موقع نقادة : نقادة الاولى تقع في محافظة قنا ، ونقادة الثانية في منطقة النوبة السفلى جنوبا ويعودان الى العصر الحجري الحديث.

- حول تفاصيل هذه المواقع ينظر : اديب ، سمير ، تاريخ وحضارة مصر القديمة ، الاسكندرية ، ١٩٩٧ ، ص١٢-١٩

(3) White, J.E. Manchip , Ancient Egypt, Its culture and History , p.128.

(٤) المعادي : نسبة الى منطقة تصل بين الدلتا والصعيد.

(٥) اديب ، سمير ، موسوعة الحضارة المصرية القديمة ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص٤٨٢.

(6) Rice, Michael, Egypt making, 2nd, London, 2003, p10.

الزايد ، عبد الحميد احمد ، تاريخ مصر الفرعونية ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص١٨.

(٧) باقر ، طه ، حضارة وادي النيل ، ج٢ ،ق١ ، بغداد ، ١٩٥٦ ، ص٦.

(٨) ميخائيل ، نجيب ، "الزراعة" ، تاريخ الحضارة المصرية ، جـ١، القاهرة ، د.ت ، ص٤٩٠.

(9) Hart, George, The Routledg Dictionary of Egyptian Gods and Goddesses, 2nd , Edition, London, 2005, p.61.

(١٠) عبد العال ، سعاد ، المجتمع المصري القديم ،ط٢ ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص٣٥.

(١١) باقر ، المصدر السابق ، ص٦.

(١٢) عبد العال ، المصدر السابق ، ص٣٦.

(١٣) اديب ، الموسوعة ، المصدر السابق ، ص٤٩٥.

(14) A. Harry and JR., Alimenta Hethaeorum, Food Production in Hittite, Asia Minor, American Driental series, Vol 55, 1974 , p.6.

(١٥) عبد العال ، المصدر السابق ،ص ٣٦-٣٨.

(١٦) عبد العال ، المصدر السابق ، ص٤٨.

(١٧) كمال ، محرم : تاريخ الفن المصري القديم ، ط٢ ، (القاهرة ، ١٩٩٨) ، ص١٧٢.

(18) Dollinger, Andre, The Grain Harvest, Aspects of life in Ancinet Egypt, Washington unirersity,2000, p.35.

(١٩) استخدمت الثيران في مصر القديمة في عصر الدولة القديمة ثم تطور استخدام الحيوانات الاخرى كالبغال في عصور لاحقة ، يذكر انه كان يتم سحب المحاريث من قبل الرجال من البشر وكان ذلك في بعض الحالات الاضطرارية. للمزيد ينظر : كمال ، المصدر السابق ، ص١٧٢.

(20) A. Harry and JR., Op.cit …., p.44 .

(٢١) صالح ، المصدر السابق ، ص١٠٥.

(٢٢) سيف الدين ، ابراهيم نمير واخرون : مصر في العصور القديمة ، (القاهرة ، ١٩٩٨) ، ص١٥٣ ؛ ارمان، ادولف : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، ترجمة : عبد المنعم او بكر ،(مصر، د.ت)، ص٤٩٧.

(23) Lichtheim, M., "Horticulture", Agriculture and horticulture in Ancient Egypt, Germany, p.187.

موتيه ، بير، الحياة في مصر ، ترجمة عزيز مرقس منصور ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص٤٠.

(٢٤) الشادوف : عبارة عن عرق من الخشب مثبت من وسطه على قائم خشبي وفي احد طرفيه وزن من الحجارة وفي الطرف الاخر دلو من الجلد يغطس هذا الدلو في حوض الماء او المجرى ثم يرفع الى الاعلى ليصب المياه بمستوى اعلى من مستوى حوض الماء.

(٢٥) اديب ، المصدر السابق ، ص ٤٨٩ ؛ A. Harry, Op.cit…., p.23.

(٢٦) ميخائيل ، نجيب : مصر والشرق الادنى القديم ، جـ٥ ، ط٥ ، (القاهرة ، ١٩٦٥) ، ص٢٢٦.

(٢٧) اديب ، المصدر السابق ، ص٤٨٨ .

(٢٨) عبد العال ، المصدر السابق ، ص٤٩ ؛ A. Harry, Op.cit…, p.29.

(٢٩) أرمان ، المصدر السابق ، ص٤٩٨-٤٩٩ ؛ كمال ، المصدر السابق ، ص١٧٢.

(٣٠) المذراة : عبارة عن يد خشبية طويلة وفي رأسها شوكة ذات ثلاثة اصابع تدفع بها السنابل الى الاعلى فتتساقط الحبوب على الارض ، بعدها يتم غربلة الحبوب المنزوعة من السنابل بواسطة غربال الخشب.

(٣١) حسن ، سليم ، مختصر موسوعة مصر القديمة، (القاهرة، ٢٠٠٧)، ص٨٦ Dollinger,Op.cit.., p34؛

(32) Hart, Op.cit., p.92-95.

(٣٣) الصومعة: عبارة عن بناء مخروطي الشكل مبني من الطين ارتفاعه حوالي خمسة امتار وعرضه حوالي المترين، وفي اعلاه فتحة لتفريغ اكياس المحاصيل وفي اسفله باب صغير من الخشب يستخدم لسحب الحبوب منه ، حيث كان يصعد الى الاعلى بوساطة سلم من الخشب.

(٣٤) اديب ، المصدر السابق ، ص٤٨٨ ؛ عبد العال ، المصدر السابق ، ص٥١-٥٢ ؛ A. Harry, Op.cit…,p36

(٣٥) جلال الدين محمد ابن احمد المحلي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر اسيوطي ، تفسير الجلالين بالرسم العثماني ، بيروت ، د.ت ، ص٣٠٩-٣١١ ، للمزيد حول الاشارة في القرآن الكريم لنص الآيات وشرحهم ينظر : http://www.hortpurdue.edu/newcrop/history/lecuture06/fig-6e.html.

(٣٦) عبد العال، المصدر السابق ، ص٥٢.

(٣٧) سيف الدين واخرون ، المصدر السابق ، ص١٥٤.

(٣٨) عبد العال ، المصدر السابق ، ص٥٢.

(٣٩) عبد الله ، فيصل وعيد مرعي، المدخل الى تاريخ الحضارة ، دمشق ، ٢٠٠٧ ، ص١٤١.

(٤٠) حسن ، المصدر السابق ، ص٦٩.

(٤١) المصدر نفسه ، ص٦٩.

(٤٢) عبد العال ، المصدر السابق ، ص٤٢.

(٤٣) حسن ، المصدر السابق ، ص٤٢.

(٤٤) المصدر السابق ، ص٧١.

http://kenanaonline.com/users/esamaziz/posts/230551.

للمزيد حول موضوع الاشجار المصري الكبيرة وزيارة موقع المهندس الزراعي ، كلية الزراعة، جامعة الازهر بالقاهرة، قسم وقاية النبات شعبة المبيدات ٢٠١٢ ايميل .eng.3aziz@yahoo.com

(٤٥) عبد العال ، المصدر السابق، ص٤٢ ؛ اديب ، المصدر السابق ، ص٤٩١.

(٤٦) حسن ، المصدر السابق ، ص٧٢.

(٤٧) عبد العال ، المصدر السابق ، ص٧٢.

(٤٨) عبد العال ، المصدر نفسه ، ص٤٧، للمزيد حول موضوع القمح في مصر القديمة :
- http://www.crownofegypt.com2012/07/blog-post-14.html.

(٤٩) حسن ، المصدر السابق ، ص٧٨ ، للمزيد ينظر الموقع الالكتروني :
- http://agricultural-dictionary.blogspot.com

(٥٠) اديب ، المصدر السابق ، ص٤٩٢.

(٥١) عبد العال ، المصدر السابق ، ص٤٧.

(٥٢) حسن ، المصدر السابق ، ص٨١.

(٥٣) حواس ، زاهي ، سيرة العالم القديم ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص٢٠٠ .

(٥٤) حسن ، المصدر السابق ، ص٨٥، للمزيد حول موضوع القطن زيارة الموقع الالكتروني:

-http://f.zira3z.net./t6338.

(55) Lichtcheim, M. Opcit, p.187

عبد العال ، المصدر السابق ، ص٧٧.

-http//www.toutankharton.com.

(٥٦) حسن ، المصدر السابق ، ص٨٠.

(٥٧) حسن ، المصدر السابق ، ص٨٣.

(٥٨) كمال ، المصدر السابق ، ص١٧٤.

(٥٩) اديب ، المصدر السابق ، ص٤٩١.

The Activity Agriculture in Ancient Egypt

Ph. D. Wasna'a Hasoon Yonis
University of Mosul / College of archaeology

Abstract

The ancient Egyptians enjoyed a real stability in living and housing since they discovered agriculture and from then they were accustomed to reserve grains and crops. They also found their way towards the agrarian reform. As a result, they realized the need to protect the land and crops and they also sought the formation of small villages and secure them against the dangers of natural and wild animals. In fact, the Nile Valley didn't see the agricultural life at one time but has seen slow and gradual stages in agricultural development. They began the process of agriculture clearly since the pre-dynastic period, at that time the ancient Egyptians began uprooting trees and paved the ground for agriculture. The Nile is the essential reason for the existence of life in Egypt in general and agriculture in particular. Moreover, the ancient Egyptians have begun to follow up the annual flooding of the Nile and then they thoroughly plowed soil seed workshops and prepared them for watering during the annual flooding of the Nile. And the agriculture in ancient Egypt was in the Nile Valley and on the edge of the river because of the availability of water and the facilities of bringing water from the river. They constructed canals and built dams and created waterways. As a matter of fact, the existence of water nearby for irrigation did not require great effort in bringing water to places far from its source, as well as the lands surrounding the River Nile are considered the most fertile lands in this place and this is due to the silt carried by the Nile River in the annual flood.